المحاضرة الأولى: جذور الحركة الوطنية الجزائرية

-الحركة الوطنية:

يتألف مصطلح الحركة الوطنية من كلمتين هما الحركة والوطنية الحركة؛ باللغة الإنجليزية "Movement" وباللغة الفرنسية "Mouvement" وتعني النشاط والعمل.[1] أما سياسيا فهي التيار العام الذي يدافع عن طبقة من الطبقات او فئة اجتماعية معينة وتنظيم صفوفها بهدف القيام بعمل موحد لتحسين حالتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية أو تحسينها كلها.

أما الوطنية؛ يجب توضيح معنيين كثيرا ما يقع فيه الخطأ ولاسيما في ترجمته من اللغات الأجنبية هو مفهوم الوطنية "Patriotisme" والتي تعني حب الانسان لوطنه الذي ولد فيه واستعداده للدفاع عنه والموت في سبيله، والثاني القومية "Nationalime" والتي تعرف بأنها حالة ذهنية يظهر فيها ولاء الفرد للدولة وارتباطه العميق بأرض الوطن وبالعادات والتقاليد المحلية وبالمنطقة التي يعيش فيها الفرد ويتواجد فيها على مر التاريخ، وهي ذلك الشعور اتجاه الدولة التي يشترك افرادها في عوامل خاصة تميزها عن أي قومية أخرى ومن تلك العوامل المشتركة؛ اللغة، الحدود الاقليمية، الدين، الفكر السياسي، العادات والتقاليد.[2] فالقومية إذن تعني ذلك الشعور المشترك بين جماعة عينة تنتمي إلى حضارة واحدة، لها حدود جغرافية معينة وتشترك في التاريخ والمصير.

أما الحركة الوطنية فتعرفها الموسوعات الغربية بما يلي: ((حركة الأشخاص الذين يدركون ضرورة تكوين مجموعة أساسها الروابط العرفية واللغوية والثقافية وغيرها وهي تنطلق من ايديولوجية ترمي إلى تمكين الأمة

---

[1] – القاموس السياسي ومصطلحات المؤتمرات الدولية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2004، ص: 246.

[2] – أوموت اوزكيريملي، نظريات القومية مقدمة نقدية، ترجمة: معين الإمام، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، 2013، ص: 88.

من حق ممارسة سياسة لا تأخذ في الاعتبارات الخاصة وترفض كل ما من شأنه الحد من حريتها في العمل)).[3]

- مفهوم الحركة الوطنية الجزائرية:

اختلف المؤرخون في اعطاء تعريفا موحدا للحركة الوطنية الجزائرية لعدم اتفاقهم عن بدايتها، فينقسمون إلى فريقين، الفريق الأول يؤرخ لها إلى بداية العشرينات من القرن العشرين وبالذات إلى ظهور حركة الأمير خالد (1919- 1923) ونشأة نجم افريقيا 1926 وهناك من يعود الى ما قبل ذلك وينطلق من فرض فرنسا التجنيد الاجباري على الجزائريين 1912 ومعارضة الرأي العام له وما ترتب عن ذلك من توتر.[4] وهو ما يتفق مع مفهوم الحركة الوطنية الجزائرية؛ الذي يعبر عن الأداء الجماعي للأحزاب والجمعيات السياسية والثقافية والإصلاحية الجزائرية، التي ارتقت بمستوى المطالبة بتغيير الواقع الاستعماري من ردود الفعل العفوية والمؤقتة إلى حركة سياسية دؤوبة غدت تمتلك أدوات العمل السياسي المنظم بفعل احتكاكها وتأثرها بالتيارات السياسية الخارجية في العالم الإسلامي وأوروبا في بداية القرن العشرين.[5]

وهذا المفهوم الذي يتوافق مع آراء الكتابات التاريخية الأجنبية التي تمثل الفرنسية الغالبية منها التي ترى بأن الحركة الوطنية الجزائرية وليدة العشرينات من القرن الماضي وأن "الوطنية الجزائرية" تأخر ظهورها إلى سنوات الثلاثينات ومن أشهر هذه الكتابات التي تأثرت بها بعض الكتابات

---

[3] – محمد العربي الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، ج1، ص: 08.

[4] – أبو القاسم سعدالله، خلاصة تاريخ الجزائر المقاومة والتحرر (1830- 1962)، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2007، ص: 97.

[5] – خثير عبد النور وأخرون، منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية (1830 – 1954)، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص: 14.

الجزائرية التي سنشير لها لاحقا نذكر المؤرخ الفرنسي "شارل روبير أجيرون" (Charles Robert Ageron) الذي يرى أنها وليدة النجم الشمال الإفريقي ومصالي الحاج سنة 1927.[6] والمؤرخ الفرنسي "شارل أندري جوليان" (Charles Andre Julien) الذي قال أن "الوطنية الجزائرية" لم تظهر إلا بعد قرن من احتلال الجزائر تقريبا، وأن رائد الوطنية الحقيقي هو الأمير خالد حفيد الأمير عبد القادر الذي انتسب إليه الجميع حتى الشيوعيون بعد وفاته سنة 1937.[7] وهناك أيضا المؤرخ الفرنسي "روجي لوتورونو" (Roger Le Tourneau) الذي يقول: " أن الجزائر لم تأت إلى الحياة السياسية العصرية إلا حوالي سنة 1926 لعدة عوامل، منها أنها تجهل الشعور الوطني لكونها بدون تقاليد، إذ لا وجود لدولة جزائرية قبل الأتراك، ثم أن دولة الأتراك لم تكن دولتهم".[8]

أما الكتابات الجزائرية التي انساقت حول هذا الطرح نجد المؤرخ "محمد حربي" الذي يرى أن تشكل "الوطنية الجزائرية" هو بالدرجة الأولى نتاج الاضطهاد الكولونيالي، وأن الذي سرع اليقظة الوطنية في الجزائر، إنما هي ثورة أكتوبر 1917 في روسيا ملازمة مع ميلاد الحزب الشيوعي، هذان الحدثان ساهما بقسط وافر في ظهور قوة سياسية بالمهجر، ويقول: أن "الوطنية الجزائرية" بدأت كصفحة من صفحات تاريخ الحركة الشيوعية، مؤسسها مصالي الحاج (1897 – 1974)، الذي كان عضوا في هذه الحركة، وبهذه الصفة سيكون أحد قادة نجم شمال افريقيا وإلى جانب

---

[6]– شارل روبير أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، ترجمة: عيسى عصفور، منشورات عويدات، بيروت، 1982، ص: 140.

[7]– شارل أندري جوليان، افريقيا الشمالية تسير القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية، ترجمة: المنجي سليم والطيب المهيري والصادق المقدم وفتحي زهير والحبيب الشطي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1976، ص ص: 55 – 133.

[8]– محمد حربي، الجزائر 1954 – 1962 جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، ترجمة: كميل قيصر داغر، مؤسسة الأبحاث العربية ش.م.م، بيروت، لبنان، 1980، ص: 25.

"حربي" أيضا المؤرخ "محفوظ قداش" صاحب كتاب "تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1919 – 1951" الذي يقول أن بوادر بروز الحركة الوطنية الجزائرية هو نهاية الحرب العالمية الأولى.[9]

أما الفريق الثاني؛ يرجع بالحركة الوطنية الجزائرية إلى سنة 1830 إلى مواجهة الاحتلال في سنواته الأولى، فيعتبر المعارضة السياسية التي قادها أعيان مدينة الجزائر بزعامة "حمدان خوجة" والنضال المسلح الذي خاضه الأمير عبد القادر" وما ترتب من ردود أفعال نقطة الانطلاق للحركة الوطنية الجزائرية.[10] فهي كمفهوم عند هذا الفريق تعبر عنها جملة ردود الفعل الوطنية تجاه الواقع الاستعماري الذي كان يلقي بأعبائه على المجتمع الجزائري، وفي هذا السياق فإن الحركة الوطنية تمثل كل أشكال الرفض للاستعمار، كالمقاومة الشعبية المسلحة التي امتدت لعقود عديدة، والمقاومة السياسية التي قادتها النخبة الحضرية في بداية الاحتلال، والهجرة نحو المشرق العربي. وتعبر عن ردود الفعل الجزائرية الجماعية منها والفردية، المنظمة منها والمعزولة، ورفض مجابهة السياسة الاستعمارية في مستويات مختلفة، ونعني من ذلك رفض التجنيس والتهجين الثقافي، ورفض التجنيد الإجباري، والمطالبة باسترجاع الأوقاف والدفاع عن القضاء الإسلامي والمطالبة بفصل الدين عن الدولة الفرنسية وغير ذلك من أشكال الاحتجاج والصمود.[11]

من أبرز المؤرخين الجزائريين الذين يرافعون عن هذا المفهوم المؤرخ "محمد العربي الزبيري" الذي يقول: " إن الحركة الوطنية الجزائرية لم تتشكل في أوساط المغتربين الجزائريين بفرنسا، ولم تنطلق من صفوف الحزب الشيوعي الفرنسي، بل إن منبتها أصيل يعود إلى لحظات الاحتلال الأولى،

---

[9]– محفوظ قداش، مرجع سابق، ص:6.

[10]– أبو القاسم سعد الله، خلاصة، ص: 97.

[11]– خثير عبد النور وأخرون، مرجع سابق، ص: 13.

عندما تتكر الغزاة لمعاهدة الخامس جويلية 1830، قبل أن يجف الحبر الذي كتب به، وكان جميع روادها من المثقفين ثقافة عالية، المتمكنين من اللغة العربية والمتشبعين بالحضارة الإسلامية، وكان من بينهم من يجيد لغات أجنبية أخرى كالإنجليزية والفرنسية".[12] ويقول في موضع أخر: " إن الحركة الوطنية الجزائرية إنما ولدت في فرنسا ضربا من التزييف، لأن العمل بجميع الوسائل من أجل استرجاع السيادة الوطنية والاستقلال الوطنيين بدأ مع بداية العدوان الفرنسي ولم يكن مقتصرا على النشاط السياسي، الذي كان مكثفا ومتنوعا ومتواصلا، لكنه شمل، وهو الأهم الجانب العسكري، وكذلك الجانب الاجتماعي والفكري والثقافي والحضاري والاقتصادي...".[13]

أما المؤرخ الجزائري "أبو القاسم سعد الله" الذي يتزعم هذا الفريق، من خلال مؤلفه الحركة الوطنية الجزائرية في أجزائه الثلاثة من سنة 1830 إلى 1945، الذي يرد في جزئه الثاني (1900 - 1930) على المؤرخين الفرنسيين الذين يرجعون أصول الحركة الوطنية الجزائرية للثلاثينات من القرن الماضي، أو منهم من يعودونها إلى الفترة التالية للحرب العالمية الأولى، وخصوصا ابتداء من 1926، حين أنشئت منظمة "نجم أفريقية الشمالية"، أومن سنة 1922 حين قاد الأمير خالد معركة ضد فرنسا فإنه يقول: " فإن ذلك التناول لأصول الحركة الوطنية الجزائرية مضلل، فأصحابه يتجاهلون عن قصد أو بلا قصد، تاريخ الجزائر عامة وتاريخ الحركة الوطنية خاصة، فالقول بأن هذه الحركة تعود فقط إلى بعض السنوات السابقة للحرب العالمية الثانية أو العشرينات، يعني غض النظر عما رأيناه من خلال القرن الماضي، فإنه من سوء الحظ أن هؤلاء الكتاب لا يعتبرون

---

[12]- محمد العربي الزبيري، في رحاب التاريخ والنوفمبريون الجدد، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2014، ص:58.

[13]- المرجع سابق، ص:58.

كل تلك الحركات العسكرية والسياسية، والعاطفية حتى أعراضا لهذه الحركة ".[14] ومن المؤرخين الجزائريين الذين يذهبون في هذا الاتجاه أيضا المؤرخ "جمال قنان" الذي يرى أيضا: " أن الحركة الوطنية الجزائرية تعود أصولها إلى سنة الاحتلال الأولى سنة 1830" ويظهر موقفه هذا جليا من خلال رده على عدد من المؤرخين الفرنسيين الذي يقول عنهم أنهم يحبون أن يرون في جهود "الأمير خالد" وأنصاره المبذولة هي بداية لظهور الشعور الوطني في الجزائر، والبعض منهم يرفض هذا الرأي ويعتقد أن هذا الشعور الوطني قد تولد بعد هذا التاريخ عند فشل مشروع بلوم فيوليت سنة 1937، على عهد حكومة الجبهة الشعبية في فرنسا، وقد استخلصوا من ذلك أن الروح الوطنية في الجزائر تولدت بسبب رفض الكولون لكل إصلاح ويقولون انه لو قدر لهذا المشروع النجاح لما ظهرت الوطنية في الجزائر، ولا استمرت تبعية هذه البلاد إلى فرنسا وربما إلى الأبد.

ويقول أيضا: " من الواضح أن تفسيرات من هذه القبيل تخطيء حول نقطتين أساسيتين: أولاهما تشطب من تاريخ الشعب الجزائري مجيدة تتمثل في المقاومة الإيجابية أي المسلحة ضد الوجود الفرنسي منذ سنة 1830 إلى آخر انتفاضة مسلحة بالأوراس في عام 1916 وتعتبرها شيئا منفصلا عنه وعن رصيده النضالي، والنقطة الثانية هي تغاضيها تماما عن الوضعية المؤلمة التي يرزخ تحتها جموع الشعب الجزائري والمتمثلة في القوانين الاستثنائية التي تجثم بكل ثقلها عليه وهي القوانين التي تكتم صوته وتخنق أنفاسه، كيف يمكن أن نتصور إمكانية المطالبة جهرا يقول القنان" في ظل وضعية كالتي يرزخ تحتها الشعب الجزائري بدون الاضطرار إلى حمل السلاح والاعتصام بالجبل وهو ما فعلته الطلائع الواعية من أفراد الشعب طوال القرن التاسع عشر، وهذا ما يسمى بالمقاومة المسلحة، وعندما طرأت أوضاع جديدة على المستوى المحلي والعالمي، أدرك الجزائريون أنه من

---

[14]– أبو القاسم سعد الله، الحركة، مرجع سابق، ص: 96.

الضـروري الاسـتفادة منهـا وذلـك بصـقل أداة نضـال حديثـة تـتلاءم ومتطلبـات الأوضـاع الجديـدة فـي ظـل علاقـات القـوى القائمـة بـين إدارة الاحـتلال والقـوى الوطنيـة، وهـذا يعنـي اسـتمرارا للمقاومـة ولكـن بأسـلوب جديـد وأسـلحة جديـدة. فـالطلائع الأولـى للوطنيـة الجزائريـة لا تعـود إلـى سـنة 1937 ولا إلـى سـنة 1919 وإنمـا كانـت موجـودة قبـل عـام 1830 وانفجـرت فـي هاتـه السـنة فـي شكل مقاومة مسلحة لطرد قوة العدوان من البلاد."[15]

- اتجاهات الحركة الوطنية الجزائرية:

اختلـف المؤرخـون فـي تصـنيف عـدد الاتجاهـات السياسـية للحركـة الوطنيـة الجزائريـة منـذ العشـرينات مـن القـرن الماضـي، فمـنهم مـن يصـنفها إلـى أربعة اتجاهات كما هو الحال مع "أبو القاسم سعد الله" الذي يذكر ما يلي:

1- الاتجاه الثوري؛ الذي كان مطلبه الاستقلال.

2 - الاتجاه المعتدل، الذي كان يطالب بالإدماج والمساواة في الثلاثينيات.

3 - الاتجاه العالمي؛ ويعني بهم الشيوعيين.

4 - الاتجـاه العربـي الاسـلامي الـذي يـربط بـين تطـور الحركـة الوطنيـة الجزائرية والحركات الأخرى المماثلة في الوطن العربي.[16]

فـي الوقـت التـي يصـنف "جمـال قنـان" اتجاهـات الحركـة الوطنيـة الجزائريـة إلـى اتجاهين أساسيين هما:

1- الاتجـاه الإصـلاحي: يمثلـه كـل مـن اتحاديـات المنتخبـين الجزائـريين فـي الأربعينـات حتـى منتصـف الخمسـينات الاتحـاد الـديمقراطي للبيـان الجزائـري وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين والحزب الشيوعي الجزائري.

---

[15]- جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009، م4، ص ص: 201 - 202.

[16]- أبو القاسم سعد الله، أفكار جامحة، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، لبنان، 2005، ص:34.

2- الاتجاه الثوري: ويمثله نجم شمال افريقيا ثم حزب الشعب الجزائري وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية أصبح يسمى بحركة انتصار الحريات الديمقراطية.[17]

كما صنف المؤرخ "حباسي شاوش" الذي يذهب في تصنيف اتجاهات الحركة الوطنية الجزائرية إلى ثلاث اتجاهات تتمثل في ما يلي:

1-الاتجاه الاستقلالي: الذي مثله نجم شمال افريقيا عند انفصاله عن تأثير الحزب الشيوعي، ثم أصبح مطلب الاستقلال واضحا في برنامجه واعلانه جهرة بالاستقلال السياسي للجزائر عن فرنسا واعتمد على الوسائل التنظيمية للتنظيم الحزبي ومنهج المغالبة بالجماهير للسلطة الاستعمارية.

2- الاتجاه الاصلاحي: وتمثله جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تأسست عام 1931، وهذا الاتجاه في ظاهره ديني ثقافي لأن قانونه الأساسي ذكر بصراحة عن عدم الخوض والسياسة والشؤون السياسية لكن الواقع كان غير ذلك.

3- الاتجاه النخبوي الإدماجي: ويمثله النواب الجزائريون في المجالس المنتخبة الفرنسية ويدرجهم بعض الكتاب في الاتجاه الإصلاحي السياسي للدلالة على منهجهم السلمي في المطالبة بإصلاح أوضاع الجزائريين وقد تجاوزوا مع حزب الشعب الجزائري وجمعية العلماء أثناء الحرب العالمية الثانية المطالب المتدرجة إلى المطالبة بتقرير المصير أي المطالبة بالاستقلال عن فرنسا.[18]

---

[17]- جمال قنان، مرجع سابق، ص 206.

[18]- حباسي شاوش، ((مصطلحات ومفاهيم في الحركة الوطنية الجزائرية)، الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلة يصدرها معهد العلوم الاجتماعية والإنسانية المركز الجامعي الوادي، ع 1، يونيو 2010، ص 189.

إضافة إلى الحزب الشيوعي الجزائري الذي نشط انطلاقا من أيديولوجيته التي عبر عنها زعيمة "موريس توريز" (Morice Thorez) في الخطاب الذي ألقاه في مدينة الجزائر يوم 11 فيفري 1939، الذي بين فيه أن الأمة الجزائرية لم تتشكل بعد وهي في طور التكوين من تمازج عشرين عرقا.[19]

ومن هذه الاتجاهات "الاتجاه الاستقلالي" الذي يسميه المؤرخون ايضا "الاتجاه الثوري" في الحركة الوطنية، ويحددون مفهومه بالمطالبة بالاستقلال التام كهدف أسمى، ورفض الجنسية الفرنسية، واللجوء إلى العنف لبلوغ الهدف المنشود. ويعرف أيضا على أنه التيار الجزائري المحض الذي كان يؤمن بالجزائر كشعب واحد متماسك الأطراف له خصائصه وميزته، لا يقبل التجنيس ولا الاندماج، ولا يرجو استفادة من الإصلاحات الاستعمارية. وهو أيضا ذلك التيار الذي لا يفكر إلا في مصير الشعب الجزائري ويهدف فقط إلى تحقيق استقلاله التام وفصله نهائيا عن الاستعمار الفرنسي سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا ودينيا، دون أي تأثير أجنبي لا يتماشى وأصالة الجزائر الحضارية العربية الاسلامية.[20] وهو ذلك الخط الذي بدأ مع تلك الوثيقة التي قدم بها خمس قادة الرأي الجزائري سنة 1919 بقيادة الأمير خالد الجزائري إلى الرئيس الأمريكي "ويلسون" والتي تضمنت المطالبة بمنح الجزائر حق تقرير المصير، ثم تبناه نجم شمال افريقيا ثم حزب الشعب الجزائري وفكرة استرداد الاستقلال عن طريق العنف، خصوصا في عهد "المنظمة الخاصة"، ثم تبني "اللجنة الثورية للوحدة والعمل" و "جبهة التحرير الوطني" مبدأ الثورة لتحقيق الاستقلال.[21] وهو الاتجاه الذي سيصبح مرادف

---

[19]– محفوظ قداش، مرجع سابق، ص:820.

[20]– يوسف مناصرية، الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين العالميين 1919 – 1939)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص:6.

[21]– أبو القاسم سعد الله، أفكار، مرجع سابق، ص:35.

لمصطلح "الحركة الوطنية" عند مناضلي هذا التيار كما يبدو من خلال وثيقة بيان أول نوفمبر 1954 عندما تتحدث عن الأزمة التي تعرض لها حزب الشعب (حركة انتصار الحريات الديمقراطية في صفوف قيادته بين مركزيين ومصاليين وترادف هذا الحزب بمصطلح " الحركة الوطنية" فتقول ما يلي: ((أمام الوضعية التي يخشى أن يصبح علاجها مستحيلا، رأت مجموعة من الشباب المسؤولين المناضلين الواعين التي جمعت حولها أغلب العناصر التي لاتزال سليمة ومصممة، أن الوقت قد حان لإخراج الحركة الوطنية من المأزق الذي أوقعها فيه صراع الأشخاص والتأثيرات إلى المعركة الحقيقية الثورية إلى جانب إخواننا المغاربة والتونسيين).[22]

كما نشير هنا أن الكتابات التاريخية التي تؤرخ لتاريخ الجزائر المعاصر مع بداية القرن العشرين الفصل في التسمية بين مرحلتين زمنيتين، الأولى تبدأ من بداية القرن العشرين إلى غاية قيام الثورة التحريرية 1954، وتسمى "الحركة الوطنية"، بينما المرحلة الثانية تبدأ من هذا التاريخ الأخير وتنتهي عام 1962 وتسمى "الثورة الجزائرية"، فإن كان الفصل التمييز بين مرحلتين من الحركة الوطنية اختلفتا في الوسائل المستعملة للتحرر فلا يشكل هذا ضررا، بل هو تقسيم يساعد على الفهم ويميز بين المرحلتين المتمثلتين في مرحلة المطالبة السلمية الطويلة ثم مرحلة الثورة التي دامت سبع سنوات.[23] فالثورة الجزائرية تدخل ضمن مفهوم الحركة الوطنية الجزائرية"، وهي تعبر عن عمل سياسي منظم ولكن بالسلاح بعد أن عجزت الوسائل السلمية، والهدف الموحد بين المرحلتين هو العمل على تحقيق الاستقلال.

---

[22]– بن يوسف بن خدة، جذور أول نوفمبر 1954، ترجمة: مسعود حاج مسعود، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص: 621.

[23]– حباسي شاوش، مرجع سابق، ص: 189.

ولكن الواقع أن الحركة الوطنية هي ثلاثة مراحل متمايزة إذا عدنا إلى التعريف الذي يعود بالحركة الوطنية الجزائرية إلى سنة 1830 مرحلة المقاومة الشعبية المسلحة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ثم تأتي المرحلتين السابقتين. مع التنبيه إلى عدم الخلط مع الحركة الوطنية الجزائرية التي أنشأها "مصالي الحاج" في شهر ديسمبر المناهضة لجبهة التحرير الوطني.